المجلس السادس

من دورة

فن التدبر

للدكتور أبي بكر القاضي

www.abobakrelkady.net

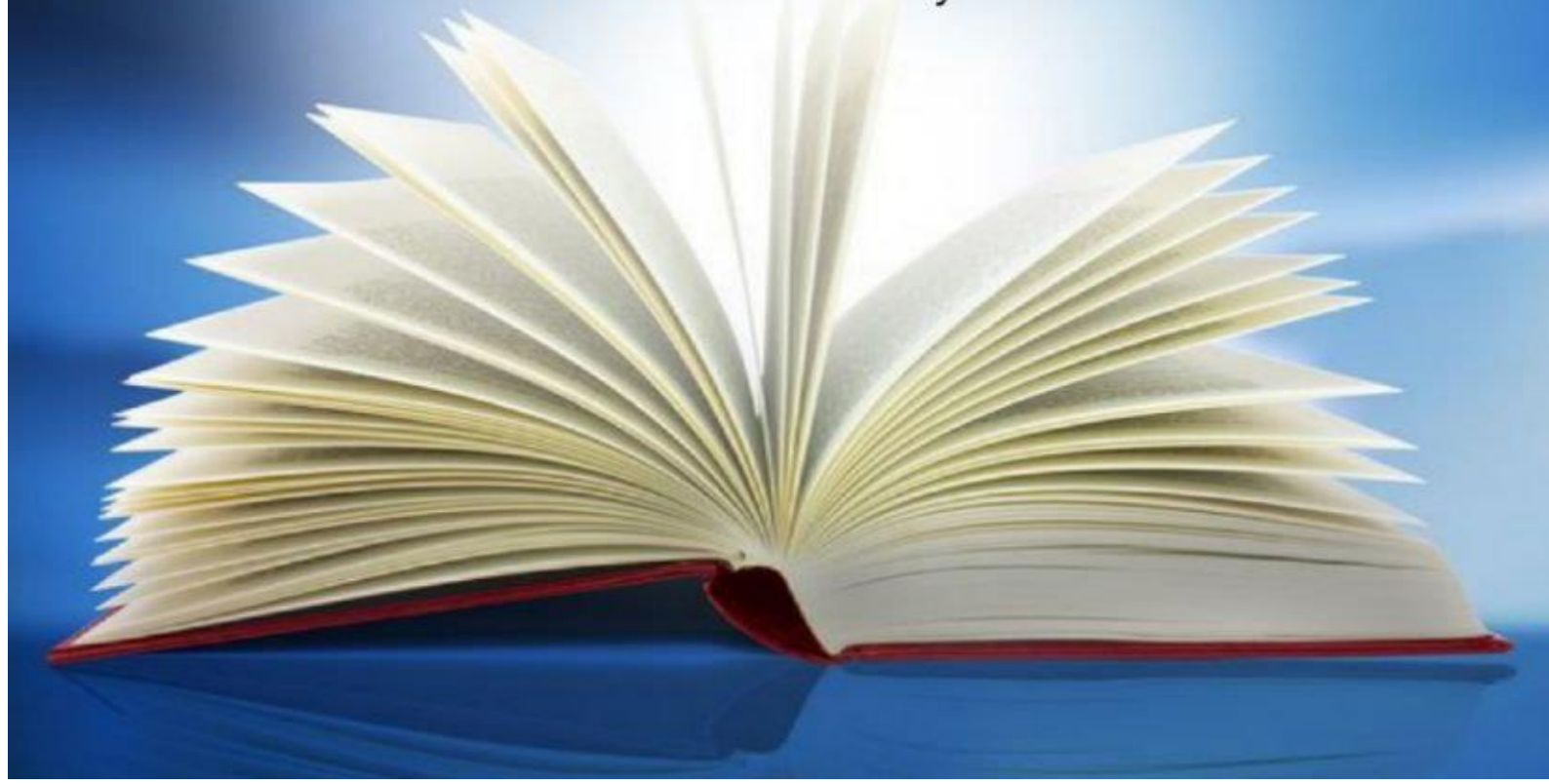

المجلس السادس

الكافر مُبتَلى، ولا يستطيع أن يُجيب، فيُعذب في الدنيا والآخرة. المؤمن مُبتَلى، لكنه فاهم لماذا يُبتلى، وفاهم الحكمة، وفاهم العلة، وفاهم الغاية.
ففي السراء يشكر، وفي الضراء يصبر، فيُجيب إجابة صحيحة.
فيزول الألم بالرضا في الدنيا ثمّ بالثواب في الآخرة، وهذا هو المهم.(

نسمع الكثيرمن العبارات السلبية على ألسنة الناس مثل:
أنا دائمًا أشعر بالضيق..
أشعر بالألم، أشعر بالحزن..
الحياة جحيم لا تطاق..

أقول لكم: كفاكم تشاؤمًا وسلبية...
سَئِمنَا من سماع هذه العبارات، لا تُكرّروا المعاني السلبية، وانتبهوا فإن هذه المعاني السلبية: هي بالضبط لمّةُ الشيطان في القلب.

قال النبيﷺ:(في القَلْبِ لمَّتَانِ لمَّةُ من المَلَكِ إيعادٌ بالخيرِ وتصديقٌ بالحقِّ، فمَن وجدَ ذلِكَ فليعلم أنَّهُ منَ اللهِ سُبْحانَهُ، ولْيحمَدِ اللهَ، ولمَّةُ مِنَ العَدُوِّ فإيعادٌ بالشَّرِّ وتَكذيبٌ بالحقِّ ونَهْيٌ عَنِ الخَيْرِ ..) الترمذي والنسائي.

إيعادٌ بالخير: أي أُبَشرك بالخير هذا اسمه التفاؤل، وتصديق بالحق والوعد، أي: وعد الله بالجنان.

قال تعالى:{وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ} [الأحقاف:١٦].

قال تعالى:{ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ} [الزمر: ٧٤].
قال تعالى:{ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ} [البقرة:٢٦٨].

الشيطان يحاول أن يُيئِّسك من روح الله، ومن رحمة الله.
إيعادٌ بالشر وتكذيب بالوعد، وهذه هي المشاعر الإيجابية، والمشاعر السلبية التي يتحدثون عنها في علم النفس، ولذا على الإنسان أن يُغذي لمة الملك التي هي إيعادةٌ بالخير وتصديقٌ بالوعد.

كيف يحقق ذلك؟
أن يعرف الله الذي وعد، قال النبيﷺ: (أنْتَ الحَقُّ ووَعْدُكَ الحَقُّ، ولِقَاؤُكَ حَقٌّ، وقَوْلُكَ حَقٌّ) الترمذي والنسائي.
يعيش على هذه الحقيقة ويموت عليها، حِينَئِذٍ لا تهزمه فتنة، ولا شهوة، ولا شبهة، ولا محنة، ولا صدمة، ولا مصيبة، بل إذا أصابته مصيبة يقول: "إنَّا لِلَّهِ وإنَّا إليهِ راجِعونَ".
"اللَّهُمَّ أْجُرْنِي في مُصِيبَتِي، وأَخْلِفْ لي خَيْرًا مِنْها".

ولكي تصل لهذا الحال عليك أن تجعل القرآن في قلبك، ليس مجرد قراءته، وإنَّما تقرؤه وهو فعلًا ينحت في وعيك، وقلبك، وعقلك، وذهنك هذه السلوكيات وهذه الأخلاقيات.

المرحلة الرابعة بأي القرآن نبدأ؟

قال: هذه مسألة جليلة كبيرة القدر جدًا، قد خفي على كثير من أهل القرآن وجه الصواب فيها، فوقعوا في خلاف في منهج النبي-ﷺ-، ومنهج أصحابه -رضوان الله عليهم-.

فَمنهج النبي-ﷺ- في تعليم أصحابه القرآن هو تعليم الإيمان أولًا قبل تعليم الأحكام، وهي داخلة ضمن القاعدة المشهورة عند السلف في التعليم، (العالم الرباني: هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره).

قال الله تعالى: {وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ} [آل عمران:٧٩].

◈ما معنى ربّاني؟

قال ابن عباس: الربّاني الذي يُربي الناس بصغار العلم قبل كباره، بمعنى: التدرج في العلم.

قال: فعن جندب بن عبدالله -رضى الله عنه- قال: " كنا مع رسول الله -ﷺ- ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، فتعلمنا القرآن فَازددنا به إيمانًا".

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: " تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانًا، وأنتم تتعلمون القرآن ثم تتعلمون الإيمان."

ذكرنا أن الإيمان: هو العلم بالله، واليقين بأحقية القرآن وأحقية الرسالة.

وعنه -رضى الله عنه- قال: "لقد عشنا برهة من دهرنا وإنَّ أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد -ﷺ- فنتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجِرها، وما ينبغي أن يقف عنده منها، كما تعلمون أنتم اليوم القرآن، ثم لقد رأيت اليوم رجالًا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان".

وهذا يدلك على أهمية الإيمان الذي يشمل الاعتقاد والتزكية.
قد تحدثنا كثيرًا عن طريقة تدريس العقيدة: أنه ينبغي ألا تكون الطريقة جافة بعيدة عن التزكية وعن التطبيق السلوكي، بل ينبغي أن يتعلم أصول الإيمان

الستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، مع المعاني الإيمانية السلوكية التي تُثمرها هذه الأصول الستة.

عندما تتعلم

✳الإيمان بالله: هو التصديق بوجود الله وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

◈توحيد الربوبية:

هو توحيد الله بأفعال الله من: الخلق، والرّزق، والتدبير، والإحياء والإماتة، والنفع والضر، والعطاء والمنع، والأمر والنهي والتشريع، والمُلك، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها.

◆الإيمان بالأسماء والصفات:

أن تؤمن بكل ما وصف الله به نفسه، ووصفه به الرسول-ﷺ- من غير تعطيل، ولا تأويل، ولا تكييف، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تشبيه.

◆توحيد الألوهية:

هو توحيد العبادة، أي: توحيد الله بأفعال العبادة، صرف كل أنواع العبادة لله عز وجل.

والعبادة: هي الاسم الجامع إلى كل ما يحب الله من الأقوال، والأفعال الظاهرة والباطنة.

إذا أتممت حفظ هذه المعلومات، تكون بذلك حفظت العقيدة لفظًا، وعند الامتحان ستُجيب على الأسئلة، لكن ليس هذا هو المقصود من الإيمان.

إنّما المقصود من الإيمان :

- أن تجعل الإيمان يتغلغل في النفس ويختلط بشغاف القلب.
- أن تفهم معنى الربوبية وتحيا معها، ومظاهر الربوبية في القرآن والكون.

- أن تفهم معنى الأسماء والصفات، وتعيش مع كل اسم اسم وصفة صفة.
- أن تحيا مع العبادات: عبادة عبادة، وتعلم كيف تُصرفها لله؟
وكيف تجمع بين الإخلاص والمتابعة، والحب والذل؟
وهي شروط العبادة، وركْن العبادة.

◈شرط العبادة: الإخلاص والمتابعة، ركن العبادة: الحب والذل.

◆ أن تعرف ما معنى لا إله إلا الله؟
أي لا معبود بحق إلا الله.

◆ أن تعرف ما معنى إله؟
من الوَلَهُ، يَأْلَهُ، آلِهة: هي شدة الحب والميل والحنين.

وأن لا إله إلا الله في الحقيقة عقد الحب الذي بينك وبين الله، وميثاق الحب الذي بينك وبين الله، وأن العبادة كلها حب؛ لذلك قال إبراهيم -عليه السلام-:{لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ} [الأنعام:٧٦] ؛ لأن العلاقة التي بينه وبين الإله الحق: هي علاقة حب.

فلا ينبغى أن يكون الإله غافلًا، غائبًا، نائمًا، ميّتًا يغيب أو يموت أو ينسى أو يغفل أو ينام.
والله لا يغفل ولا يغيب، قَيِّم، قَيُّوم، قَيَّام {لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة: ٢٥٥]، حياته لا يعتريها نقص.

قال تعالى:{ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ} [الفرقان: ٥٨].
عليك أن تعي هذه المعاني وتعيشُها، تعيش معنى الإيمان بالله وملائكته، وأن الملائكة خلقٌ عظيم من خلق الله.

هل حاولت ذات مرة أن تأخذ الآيات التي ذكرت فيها الإيمان بالملائكة من القرآن، وحاولت أن تعيش معها وتستشعر أن خلقهم عظيم؟

}جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ{
[فاطر:١] يزيد حتى ستمائة جناح هذا جبريل -عليه السلام-، وغيره من الملائكة ، ملائكة خزنة الجنة، وخزنة النار، ومن موكل بالقطر، ومن موكل بالوحي، ومن موكل بالنفخ في الصور، وغيرهم الكثير.

هل عشت مع هذه الحقائق، ورأيت كيف يعبدون الله ولا يفترون؟
يُخلق الملك راكعًا ساجدًا إلى يوم القيامة، فإذا قامت القيامة قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

لذا أنت مأمور بأن تتشبه بهم في بعض صفاتهم، قال النبي:
)ألا تَصُفُّونَ كما تصُفُّ الملائِكَةُ عندَ ربِّهم جَلَّ وعزَّ) أبي داود .
أي: تصطفون في صفوفكم كما تَصطف الملائكة عند ربهم.

استحضر قول الله تعالى :{ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ} [فصلت: ٣٨].
انتبه الله غني عن عبادتنا، فالملائكة يعبدون الله ليل نهار، لايفترون، لا يأكلون، لا يشربون، لا يتناكحون، فإذا قامت القيامة قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

قال النبيﷺ: (قد أطَّت بهم السماءُ، وحقَّ لها أن تئطَ، ما فيها موضعَ أربعِ أصابعٍ إلا وملك قائمٌ، أو راكعٌ، أو ساجدٌ.)
هذا حال الملائكة، ماذا عن حالي وَحالُكَ؟
نحن مازلنا غافلين: نمزح، ونلهو، ونلعب.

◆إذاً عليك بالإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل ، رسول رسول الذين ذكرهم القرآن خمسة وعشرون رسولاً.

- أن تعيش معهم اسم اسم، وأن تعيش مع قصصهم، فمنهم مذكورين في القصص ومنهم مذكورين أسماء فقط.

- وأن نأخذهم قدوة وأسوة بدلًا من الأسطورة و(نمبر وان)، والنجوم والكواكب المفروضين علينا بقوة الإعلام العاهر، والشركات التي لا تنتج إلا لأناس معينة وتصرف عليها وتُنَجمها.

- وأن تعيش مع القدوات الحقيقية، الصحابة لماذا أصبحوا صحابة؟
لأنهم عاشوا مع النبيﷺ، وعاشوا مع قصص الأنبياء.

-الأنْبياء يعني: يوحى إليهم، والوحي يعني: كتب، والكتب يعني: أن الله تكلم بها حقيقة، وأن هذا من كمال حكمته ورحمته للعباد، أنه لم يخلقهم سُدىً، ولم يتركهم هملًا بل أرسل إليهم الرُسل وأنزل إليهم الكتب، ليتواصلوا مع الله، وليعرفوا الأدلة والطريق إليه عز وجل.

لقد وَضَحَ الطَّرِيقُ إليك قصْدًا ---- فما أحدٌ أرادك يستدلُّ.

قال لبيد بن ربيعة:
فَيا عَجَباً كَيفَ يُعصى الإلَهُ ----- أَم كَيفَ يَجحَدُهُ الجاحِدُ.
وَفي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ ------- تَدُلُّ عَلى أَنَّهُ واحِدُ.

ومع ذلك كما ذكرنا أن من كمال التوحيد:
أن الله لم يخلقهم سُدىً، ولم يتركهم هملًا، ولم يخلقهم عبثًا.
الدليل على ذلك أنه أرسل الرُسل، وأنزل الكتب ليُعلموهم غايتهم في الوجود، ووظيفتهم في الحياة، وعلى هذا سيكون الميعاد، والحساب بعد أن أعلمُوهُم.

قال تعالى:{قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ} [الأنعام :١٤٩].

◆إذًا عليك أن تؤمن باليوم الآخر الذي يبدأ من أشراط الساعة الصغرى والكبرى، و البرزخ، وعذاب القبر ونعيمه، والنفخ في الصور نفْختين، ثم بعد ذلك قيام القيامة وعرصات القيامة والجنة والنار، وكل هذه الأحداث تدخل في الإيمان باليوم الآخر.

- إذًا عليك أن تعرفها ولا تكتفي بمجرد معرفة التفاصيل، إنّما تعرفها وتعيشها.

- أن تقرأ كتاب مثل: كتاب (التوهم) رحلة إلى دار الآخرة للإمام المحاسبي، أن تقرأ الجنة والنار، والقيامة الكبرى والصغرى للدكتور عمر سليمان الأشقر من (سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة.)

- أن تعيش العقيدة، وفعالية العقيدة، ليس أن تحفظ ضوابط العقيدة بل تعيشها، هذا هو (الإيمان).

◆الإيمان بالقدر خيره وشره: وأن القدر: قدرة الله، علم الله السابق، كتابة المقادير، مشيئته النافذة، وقدرته الشاملة، خلق الله أفعال العباد، قوته سيطرته، قال تعالى:
}وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ{ [التكوير:٢٩].
} وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ{ [الصافات:٩٦].
}رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ{ [إبراهيم: ٤٠].
}رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ{ [النمل: ١٩].
قال النبيﷺ:{اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا} مسلم.

قال تعالى:{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ} [النور: ٢١].

قال النبيﷺ: (إِنَّ اللَّهَ خلقَ كلَّ صانعٍ وصنعتَهُ) الصحيح المسند.
قال النبيﷺ: (كانَ اللَّهُ ولَمْ يَكُنْ شيءٌ قَبْلَهُ)، صحيح البخاري،
ولَمْ يكُنْ شيءٌ معهُ.

قال النبيﷺ: (أولُ ما خلق اللهُ القلمُ فقال له: اكتبْ فقال: يا ربِّ وما أكتبُ؟ قال: اكتب القدرَ ما هو كائنٌ من ذلك إلى قيامِ الساعةِ) العواصم والقواسم.

قال النبي ﷺ: (كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) صحيح مسلم.

قال تعالى:{يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ}
[الرعد: ٣٩]، اللوح المحفوظ، أي: تؤمن بالعلم السابق، وتؤمن بكتابته للمقادير، وبمشيئة النافذة، وقدرته الشاملة، وأن لا أحد يخرج عن سلطانه، وأنه خالق العباد وأفعالهم، وأنه أوجد للعباد قدرة وإرادة بها تقع أفعالهم لتقوم حجته عليهم، ويُكلفهم ليكونوا محاسبين بعد ذلك على اجتنابهم أو اِئتِمارهم للشرائع.

قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء:٤٠].

■ هذا هو الإيمان: أن تفهم تفاصيل العقيدة العلمية، وما تنعكس عنها من آثار إيمانية سلوكية، هذا الإيمان الذي لا بد أن تتعلمه، وهذا هو مقصود القرآن المكي غرس الإيمان، ثم بعد ذلك يأتي تعلم القرآن الأحكام: الأوامر والنواهي، التشريعات: الأخلاق والسلوكيات.

}سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ} [البقرة:٢٨٥].
أن تتعلم التفسير، والأحكام، والعلم تجد بعد ذلك أصبحت الأرض لينة خصبة؛ لأنها حُرثت بالإيمان، فليس المطلوب منك أن أتحفظ مجرد القرآن، فليس أول شي أن تحفظ القرآن، بل بداية الأمر لابد أن تتعلم الإيمان، ثم الحفظ؛ لأن الحفظ سيصبح حجة عليك، بحيث تكون حافظًا وليس فاهمًا.

لذا تعلم الإيمان أولًا، وأدلة هذا الإيمان من القرآن، ثم بعد ذلك تأخذ القرآن تحفظه وتفهم تفسيره من بداية الكتاب إلى نهايته؛ حتى تستطيع أن تأتي بواجبات القرآن.

ما معنى أن عمر -رضى الله عنه- ظل يحفظ البقرة ثلاث عشرة سنة كيف هذا؟
ما اسمه هذا؟
هذا ليس الحفظ الفهمي، ولا الاستظهار، إنما هذا هو الحفظ التربوي العملي القلبي.

تخيل ثلاثة عشر سنة!
هذا مسار كلية وماجستير و دكتوراه، بل دكتوراه واحدة في سورة البقرة.

قال: وفي لفظ عنه -رضى الله عنه- قال: إنا كنا صدور هذه الأمة، وكان الرجل من خيار أصحاب رسول الله-ﷺ- وصالحيهم ما يقيم إلا سورة من القرآن أو شبه ذلك، وكان القرآن ثقيلًا عليهم، وهو يسير قال تعالى:{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ} [القمر:١٧].
ولكنه قول ثقيل، أي: ثقيل في ميزان الحق.

القلوب الصادقة السليمة النقية الطاهرة تستشعر الثقل في القيام بالتكاليف، بمعنى: أنه أمانة عظيمة، ومسؤولية كبيرة، شرف عظيم.
تكاليف: أي عمل، عرق جبين، تعب؛ لكي تعيش مع سورة؛ لأنه عميق ومليء بالأسرار، و مليء بالمعاني.

قال تعالى: {قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا} [الفرقان:٦].

قال ابنُ أبي الدُّنيا: "القرآن بحر لا ساحل له."

قال النبيﷺ: (فعليكم بالقرآن ..... له ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم. عميق بحره، لا تحصى عجائبه ولا يشبع منه علماؤه، وهو حبل الله المتين، وهو الصراط المستقيم) ابن حبان والبيهقي.

وقال عثمان -رضوان الله عليه-: "لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكُمْ مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ."
فالآية الواحدة لا تفنى أسرارها؛ لأنه كلام الذي يعلم السر.

قال: وكان القرآن ثقيلًا عليهم ورزقوا علما به وعملًا، وإن آخر هذه الأمة يخف عليهم القرآن حتى يقرأه الصبي والعجمي، لا يعلمون منه شيئًا، ولا يعملون به شيء.

وعن حذيفة بن اليمان -رضى الله عنه- قال حدثنا رسول اللهﷺ:
"إن الأمانة -يعني الإيمان- نزلت في جذر قلوب الرجال.
-مسألة الفطرة واستقلالها لأصول الإيمان الكبرى- ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة" متفق عليه.

قال ابن تيمية:" والأمانة هي الإيمان أنزلها في أصل قلوب الرجال".
ويقرر هذا شيخ الإسلام في كلام ماتعٍ له في بيان حقائق الدين، ويستشهد لذلك بآياتٍ من كتاب الله، منها:

١- قوله تعالى:{أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ} [هود:١٧]، فالبينة من الله هي الإيمان، والذي يتلوه هو شاهد القرآن.

٢- وقوله تعالى: { نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ}

[النور: ٣٥]، نور الوحي، على نور الفطرة.
النور الأول: هو نور الإيمان والذي يقصد به نور الفطرة، والذي يأتي بعده هو نور الوحي الذي هو القرآن.

يقول رحمه الله: فتبين أن قوله:{ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ} [هود:١٧]،
يعني: هدى الإيمان.
}وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ} أي من الله، يعني: القرآن، شاهد من الله يوافق القرآن ويتبعه.
وقال:{وَيَتْلُوهُ} لأن الإيمان هو المقصود؛ لأنهم إنما يُراد بإنزال القرآن الإيمان وزيادته.

قال: "ولهذا كان الإيمان بدون قراءة القرآن ينفع صاحبه،"
وهذا صحيح، دخل الجنة ولم يسجد لله سجدة لماذا؟
لأن الإيمان ينفع صاحبه ويدخل به الجنة.

والقرآن بلا إيمان لا ينفع، قال النبيﷺ: (إن أولَ مَن تُسعَّرُ بهم النارُ ثلاثةٌ: منهم: الذي طلب العلمَ وقرأ القرآنَ لغيرِ اللهِ ليقالَ: هو عالمٌ، ولِيقالَ له: قارئٌ.)

قال: والقرآن بلا إيمان لا ينفع في الآخرة، بل صاحبه منافق،
كما في الصحيحين عن أبي موسى عن النبي-ﷺ- أنه قال:
"مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، طعمها طيب ولا ريح لها "...

إذًا هناك مؤمن يقرأ القرأن، ومؤمن لا يقرأ القرآن.
المؤمن الذي لا يقرأ القرآن هل كفر؟
لا، مازال مؤمنًا، ولكنه لا رائحة له، تمرة طعمها طيب،بمعنى:

أنه مستقيم في الباطن ولكن ليس له أثر مُتعدي ولا نفع مُتعدي، إنما يتوقف الأثر المُتعدي والنفع المُتعدي حين يكون العبد حامل لكتاب الله صالحًا مُصلحًا.

قال رحمه الله: وقال بعضهم قوله :{نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ}: نور القرآن على نور الإيمان، كما قال:{وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ} [الشورى:٥٢].

وقال السدي في قوله:{نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ} [نور: ٣٥]، نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا، فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه.

وقال: ولهذا دخل في معنى قوله: "خيرُكُم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ" تعليم حروفه ومعانيه جميعًا.
ولكن ليس المقصود تعليم الحروف والتجويد فقط ، إنما أيضًا تعليم المعاني، بل هو المقصود من تعليم التجويد والقراءات تعليم المعاني.

قال: بل تعلم معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه، وذلك هو الذي يزيد الإيمان، كما قال جندب بن عبد الله، وعبد الله بن عمر، وغيرهما: تعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا إيمانًا، وإنكم تتعلمون القرآن، ثم تتعلمون الإيمان.

فإن سألت: ما الإيمان الذي نتعلمه أولًا قبل الأحكام؟
فالجواب: هو أوائل ما علَّمه النبي-ﷺ- لأصحابه وهو أوائل ما نزل من القرآن، فالإيمان الذي تكرر ذكره، والتأكيد عليه في ابتداء دعوة المصطفى -ﷺ-هو ثلاث أقسام:

- الأول: الإيمان بالله ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته.
- الثاني: الإيمان برسوله -ﷺ-.
- الثالث: الإيمان بالبعث باليوم الآخر.

وهذه هي المقاصد الكلية التى يدور عليه القرآن:
إثبات التوحيد، إثبات النبوة، إثبات المعرفة، وليست مقتصرة على القرآن، إنّما تدورعليها كل الشرائع.

ولذلك الإمام الشوكاني في كتابه (إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات)، أتى بآثار من التوراة والإنجيل وآيات من القرآن تدل على إنّ المحورالرئيسي: هو إثبات التوحيد، إثبات النبوة، إثبات المعاد.

■ فإن قيل كيف نتعلم هذا الإيمان؟
قيل: من طريقين:
الأول: بالتفكر في آيات الله المرئية.
وهذا له محلٌ آخر غير هذه الرسالة.

ما هي الآيات المرئية؟
هي الآيات الكونية.
قال تعالى:{ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ} [آل عمران: ١٩٠].

قال تعالى:{ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ} [النور:٤٤].

قال تعالى:{قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران:٢٦].

قال تعالى:{قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ} [يونس:١٠١].

قال تعالى:{وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} [الأنعام:٧٥].

الثاني: بالتفكر (التدبر) في أوائل ما نزل من الآيات المتلوة.

(ولذلك ذكرت لكم إن أول ما نزل من القرآن أُمروا أن يقوموا به الليل لمدة سنة لا يقرؤون غيره) التي غرست الإيمان كالجبال في قلوب أصحاب الرسول-ﷺ- في دار الأرقم بن أبي الأرقم.

هذه الثُلة القليلة كانت سبب في إسلام العالم، في انبثاق النور لكل المشارق والمغارب، هذه التربية الإيمانية المحدودة هي التي خرجت كوادر ورجال.

ليس العبرة بالفيديوهات، والمشاركات، والعدد، والكثرة إنّما العبرة بالبناء، بناء رجال حتى لو لم يتبقَ إلا رجل واحد أو اثنين.

ولذلك كان أحدهم يمثل رُبع الإسلام، سُدس الإسلام، سُبع الإسلام الإسلام في بدايته كانوا ثمانية رجال على وجه الأرض كلها.

وعلى مدى السنوات أصبح الآن عدد المسلمين اثنين مليار، لكن أغلبهم لا يعرفون حقائق الإسلام، ولا يتدينون بها، ولا يعملون من أجلها، ولا يعيشون الإسلام قضية ولا رسالة ولا هدف، ولا يعيشون هموم أمتهم ولا دينهم، آخر أولوياتهم الإسلام.
أولئك هم عالة على الأمة، وعالة على الدين.

حين يجلس في الدرس ساعة أو ساعتين يمل، وحين تنصحه بأن يتعلم القرآن، لا يعجبه يريد كل شيء سريع (تيك آوي)، يريد كل شيء بسيط، مقاطع صغيرة، منشور صغير.

ويقول لك مستنكرًا: هل سَتقول لي: أقرأ وذاكر واتعلم آية آية، وحديث حديث وطبق وحاسب نفسك وتخلّق وترقّى، وقوم الليل، واترك الشهوات، والإباحيات، والروايات، والمسلسلات، والأفلام، واللعب، واللهو وسفاسف الأمور؟

فاعلم أن هذا الشخص ضعيف الهمة، ضعيف الإرادة لا صبر له.

قال: وقد جمعها الله عز وجل في أول ما نزَّل على النبي ﷺ
في قوله تعالى:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق:١-٥].

لقد قمت بعمل بحث كامل بتفسير هذه الخمس آيات، ولماذا افتتح القرآن بهذه الآيات بالذات، ولم يفتتح بالفاتحة مثلًا؟

وناقشت هذا البحث في محاضرتين لمدة ساعتين، تحدث فيها عن هذه الآيات الخمسة فقط، والمحاضرة كانت بعنوان (إضاءات الرسالة القرآنية الأولى)
بيّنت فيها:
-السبب وراء اختيار الله لهذه الخمس الآيات بالذات دون غيرهن؟
-وما هي المقاصد منها؟
-وما التفسير الموضوعي منها؟
-وما الرسالة التي يوجهه رب العالمين إلى البشر من خلال هذه الآيات فضلًا عن الأمة؟
-وكيفية استنقاذ العالم من خلال تلك الخمس آيات، وإخراجهم من براثن الجاهلية التي هي الآن في صورة العلماوية والعلمانية، والليبرالية، والنيوليبرالية والتمرد والجحود والكفر والشذوذ ومحاربة الفطرة والأخلاق والقيم، والهاوية التي يساق إليه العالم من خلال اتباعه للحضارة الغربية؟

قال: فجمع له بين القراءة باسم الله، وبين التذكير بنعم ربه على عباده.
فإن قلتَ: قد قرأنا أوائل ما نزل، بل وحفظناها،(الناس كلها تحفظ جزء عم، وتبارك)، ولم نرَ أثر ذلك في إيماننا؟

الإشكال ليس في الحفظ ولا في القراءة، ولكن الإشكال في كيفية الفهم والمعالجة.

فالجواب: -يا أخا القرآن-: أننا لم نأخذ القرأن كما أخذوه -رضوان الله عليهم-.

فإن سألت عن أخذهم القرآن؟
فأقول: اعلم -وفقك الله لهداه- أن القرآن تنزيلُ رب العالمين، وهو كتاب عظيمٌ { قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ} [ص:٦٧].
وثقيلٌ {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} [المزمل:٥].

بل بلغ الغاية في الإعجاز، وشدة التأثير {وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا} [الرعد:٣١]، أي لكان هذا القرآن، أي أن القرآن أعظم معجزة وإعجازًا من أن تُسير الجبال، وتُقطع الأرض، وتُكلم الموتى لإثبات النبوة.

من المعلوم أن النبوة تحتاج إلى الآيات والبراهين ومنها خوارق العادات، وهذا نوع من أنواع الآيات، والآيات ليست مقتصرة على المعجزات وخوارق العادات كما تقول الأشاعرة، بل الآيات أكبر وأعظم من ذلك.

الأعظم من ذلك أنها تشمل آيات القرآن، وإعجاز القرآن:
الإعجاز المعنوي، والتشريعي، و البلاغي، والبياني.

قال: لكان هذا القرآن، قال قتادة والفراء وابن قتيبة وابن عطية وابن كثير والسّعدي، أي: إعجاز القرآن أعظم من هذه الخوارق.

ولذلك النبي ﷺ قال: (ما من الأنبياء من نبيٍّ ، إلا و قد أُعطَى من الآيات ما مِثلُه آمنَ عليه البشرُ، و إنما كان الذي أُوتيتُه وحيًا أوحاه اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعًا يومَ القيامةِ) البخاري ومسلم.

فَمعجزة القرآن: كانت أعظم من معجزة عصا موسى، وانشقاق البحر له.

معجزة القرآن: كانت أعظم من معجزة عيسى في تكليم الموتى،
بل أيضًا أعظم: من معجزة انشقاق القمر للنبي، وتكليم الحجر والشجر
والحيوانات للنّبي، ونبع الماء من بين أصابعه؛ لأنها معجزة عظيمة و مستمرة،
الوحي فوق الزمان والمكان.